الفصل الثالث

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف

في بعض الطرق الصوفية ورجالها

۞ اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعنّي بلعنتك ص١٢٩
للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله من أئمة الأزهر وكبار الشافعية

۞ الطرق الصوفية وما وصلت إليه ص١٣٢
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله وزير الأوقاف المصرية

۞ الاستعمار والصوفية ص١٣٦
فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري رحمه الله وزير الأوقاف المصرية

۞ انتشار التصوف الدخيل ص١٤١

۞ سخافات ابن عربي هي الكفر بعينه ص١٤٢
فضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله وكيل وزارة الأوقاف

۞ استعانة الحلاج الصوفي بالشياطين ص١٤٦
فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله من كبار علماء الأزهر الشريف

۞ بعض ممارسات الطرق الصوفية شرك بالله وكفر ص١٤٩
فضيلة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي رحمه الله شيخ الأزهر الشريف

۞ بدع الصوفية لا أساس لها من الإسلام ص١٥٢
محمد رأفت عثمان عضو مجمع البحوث

۞ الصوفية بين الاتباع والغلو ص١٥٤
فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله
من كبار علماء الأزهر الشريف، ورئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

۞ علماء البدع وشيوخ الفساد ص١٦٢
فضيلة الشيخ الدكتور محمود مزروعة حفظه الله عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر

اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعنّي بلعنتك للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله

من أئمة الأزهر وكبار الشافعية

جاء في ترجمة الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله[1]:

«ومع وُفُور عِلْمِهِ، وعدم سرعة غضبه، فكان سريع الغضب في الله ورسوله... إلى أن قال: واتفق كما سمعته منه مرارًا أنه جرى بينه وبين بعض المحبين لابن عربي[2] منازعةٌ كثيرة في أمر ابن عربي، أَدَّتْ إلى أن نال شيخنا من ابن عربي لسوء مقالته.

فلم يسهل بالرجل المنازع له في أمره، وهدَّده بأن يغري

---

(١) «الجواهر والدرر» للإمام السخاوي (٣/ ١٠٠١).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، الطائي الأندلسي، ولد سنة ٥٦٠هـ بمرسية من الأندلس، من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود، يسميه الصوفية: الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، له كتب كثيرة في التصوف وغيره، من أهمها: «الفتوحات المكية»، و«فصوص الحكم»، فيها أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، ولذا كفّره غيرُ واحد من الأئمة، وصنف الإمام البقاعي في كفره كتابًا سماه: «مصرع التصوف، أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي»، توفي سنة ٦٣٨ هـ. انظر: «البداية والنهاية» للإمام ابن كثير (١٣/ ١٨٢).

به الشيخ صفاء الذي كان الظاهر برقوق يعتقده، ليذكر للسلطان أن جماعة بمصر منهم فلان يذكرون الصالحين بالسوء... ونحو ذلك.

فقال له شيخنا: ما للسلطان في هذا مدخل، لكن تعالَ نتباهل؛ فقلما تباهل اثنان، فكان أحدهما كاذبًا إلا وأُصِيبَ. فأجاب لذلك، وعلَّمه شيخنا أن يقول: اللهم إن كان ابن عربي على ضلال، فالعَنِّي بلعنتك، فقال ذلك.

وقال شيخنا: اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعنِّي بلعنتك. وافترقا.

قال: وكان المعاند يسكن الروضة، فاستضافه شخص من أبناء الجند جميل الصورة، ثم بدا له أن يتركهم، وخرج في أول الليل مصممًا على عدم المبيت، فخرجوا يشيعونه إلى الشختور[1]، فلما رجع أحسَّ بشيءٍ مرَّ على رجله، فقال

(١) الشختور: القارب أو المركب، انظر: «نهاية الأرب» للنويري (٩/ ٢٥).

لأصحابه: مرَّ على رجلي شيء ناعم فانظروا، فنظروا فلم يروا شيئًا. وما رجع إلى منزله إلا وقد عمي، وما أصبح إلا ميتًا.

وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وتسعين (وسبعمائة)، وكانت المباهلة في رمضان منها. وكان شيخنا عند وقوع المباهلة عرَّف من حضر أن من كان مبطلًا في المباهلة لا تمضي عليه سنة». انتهى.

الطرق الصوفية وما وصلت إليه

لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

محمد حسين الذهبي رحمه الله [١]

وزير الأوقاف المصرية

أجْرَتْ جريدة الأهرام[٢] لقاءً مع فضيلته رحمه الله جاء فيه:

الأهرام: مِن حقنا أن نسأل، ماذا فعلت الوزارة لتحارب البدع في الدِّين؟

---

(١) ولد فضيلته في التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٩١٥م في قرية مطوبس في محافظة كفر الشيخ، التحق بكلية الشريعة جامعة الأزهر وتخرج منها سنة ١٩٣٩م، وحصل على الدرجة العالمية بدرجة أستاذ في علوم القرآن سنة ١٩٤٦م من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر، وذلك عن رسالته «التفسير والمفسرون» التي أصبحت بعد نشرها أحد المراجع الرئيسة في علم التفسير. عمل أستاذًا في كلية الشريعة جامعة الأزهر، وأعير سنة ١٩٦٨م إلى جامعة الكويت. وبعد عودته سنة ١٩٧١م عُيِّنَ أستاذًا في كلية أصول الدين، ثم عميدًا لها، ثم أمينًا عامًا لمجمع البحوث الإسلامية. ثم أصبح وزيرًا للأوقاف وشؤون الأزهر في الخامس عشر من أبريل سنة ١٩٧٥م، وذلك حتى نوفمبر سنة ١٩٧٦م، وتوفي سنة ١٩٧٧م.

(٢) جريدة الأهرام القاهرية، الجمعة: ١٩ديسمبر ١٩٧٥م.

معالي الوزير: الوزارة تبذل جهدها، وليس لديها سلاح إلَّا الدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأعتقد أن جهودها قد أثمرتْ إلى حدٍّ ما، فإنَّ البدع السائدة الآن أقل بكثير مِمَّا كان سائدًا في الماضي، وهذا نتيجة للتوعية الدِّينيةِ التي يقوم بها الوُعَّاظُ والأئمةُ، لكن الأمر يحتاج إلى أن تُساعدنا وسائل الإعلام.

الأهرام: وهل ترى أنَّ وسائل الإعلام لا تُساعد في ذلك؟

معالي الوزير: أبدًا، ما زالت وسائل الإعلام مُبْعَدة، والوزارة تعمل وحدها.

الأهرام: والذين ينتسبون إليهم من أولياء الله الصالحين؟

معالي الوزير: الوليُّ الحق لا يُعلن عن نفسه، ولا يُعلن عن كراماته.

الأهرام: والانحرافات في بعض الطرق الصوفية؟

معالي الوزير: **حقيقةً لقد اندسَّ على التصوف قوم ليسوا مِن أهله، والتصوف بريءٌ منهم، وهؤلاء استطاعوا استهواء العامَّة وخداعهم بكثير مِن الأباطيل، وفي اعتقادي أنَّ أعداء الإسلام لـمَّا**

عجزوا عن إطفاء نوره لجأوا إلى وسائل خبيثة ليشوِّهوا جمال الإسلام، ووصلوا إلى غرضهم مِن طريق أمور ثلاثة:

١) ادِّعاء التصوف.

٢) ادِّعاء التشيع.

٣) تشويه الذِّكر السَّلفي.

وهؤلاء قال عنهم الإمام محمد عبده: «**إنَّهم قوم تبطَّنوا الكُفر والتحفوا بالإسلام**».

الأهرام: هكذا يجرُّنا الحديث مرة أخرى إلى الطُّرق الصوفية وما وصلتْ إليه؟

معالي الوزير: الصوفيّة عندنا فريقان؛ فريق لا يزال يمشي في الطريق الصحيح على أساس كتاب الله وسُنة رسوله، لا يشغلون أنفسهم إلا بالقرآن وحديث الرسول ﷺ.

وفريق أَقْحَمَ نفسه على الصوفية، فادَّعى لنفسه الولاية، ونسب كرامات، وتسلَّط على مريديه بشعوذات يحسبها بُسطاء العقول كرامات، وهؤلاء ليسوا مِنَ الدِّين في شيء، وإنَّما هم

قوم مُخادِعون، يطلبون الدُّنيا باسم الدِّين، ويَرْجُونها لأنفسهم.

الأهرام: إذن، ما دَوْر الوزارة بالنسبة لهؤلاء؟

معالي الوزير: ليس للوزارة سلطان على الطرق الصوفية، هناك المجلس الأعلى للطرق الصوفية هو المسئول، ولقد نَبَّهْنَا إلى خطورة الطريقة البرهانية، وأصدرتْ وزارةُ الداخلية قرارًا بحظر نشاطها، ومع ذلك فما زالت موجودةً، ولها مريدون بالآلاف، ولا بُدَّ أن ننقذ هؤلاء مِن ضحايا التضليل.

الأهرام: إذا كُنا بالقانون نحمي كل سلعة مِن الغش، فكيف لا نحمي -بالقانون- عقائد النَّاس وأفكارهم؟

معالي الوزير: الحق معك، ولكن المسألة لا يُمكن فيها القانون وحده، مسائل الاعتقاد تحتاج إلى ثورة متجددة لحماية الإسلام وأفكاره ومواجهة المفسدين الذين يَدَّعون الإصلاح، والمضلِّلين الذين يدَّعون الإرشاد.

الاستعمار والصوفية

لفضيلة الأستاذ الشيخ

أحمد حسن الباقوري رحمه الله [١]

وزير الأوقاف المصرية

الجـــواب

سأل مندوب جريدة الأهرام[٢] فضيلته رحمه الله عن نظرة الإسلام إلى ما اشتهر بين الصوفية من تزيين القبور وإقامة أضرحةٍ عليها، فقال رحمه الله:

الإسلام دين المساواة بين الأحياء، فكيف يفرق بين الموتى في أشكال القبور ومظاهرها؟

---

(١) ولد فضيلته بـ «باقور» مركز «طما» بمحافظة سوهاج سنة ١٩٠٧ م، تخرج في الأزهر الشريف، وأصبح من علمائه، وله تاريخ حافل في العلم والسياسة؛ عُيِّن وزيرًا للأوقاف بعد ثورة ١٩٥٢م، نجح في إدارة وزارة الأوقاف حتى سنة ١٩٥٩م، وفي سنة ١٩٦٤م عُيِّن مديرًا لجامعة الأزهر، وأسس «جمعية الشبان المسلمين»، توفي أثناء علاجه في لندن في ٢٧ أغسطس ١٩٨٥م.

(٢) جريدة الأهرام في ١٤/ ٢/ ١٩٥٥م.

ثم إنّ الإسلام يُقرِّر أَنَّ القبر وَقْفٌ على الميت، وإن على الذين يدفنون الميت أن يضعوا على القبر ما يشير إليه؛ لكيلا يقع من الحيِّ اعتداء على مكان أخيه الميت، فيتركه له، بعد ما ترك هذه الدنيا جميعها، واستقرَّ في حفرة صغيرة.

فإذا جاء الأغنياء، فأقاموا لموتاهم الأضرحة والقباب، وأضاءوها وحَفُّوها بالحدائق أو الأشجار -فإن الإسلام لن يقيم لهم وزنًا، بل سيُحاسِبهم على ما أَسْرَفُوا وأضاعوا مِن أموال، وعلى ما اجترأوا على الله مِن مظاهر القُربى الكاذبة الخدَّاعة.

وقد كان من تَرَسُّل الأغنياء في إقامة الأضرحة والقباب، أن انصرفوا عن الجوهر إلى المظهر، فشمختْ القباب والأضرحة في أنحاء العالم الإسلامي، وسابقتْ المآذن، وأقيمت الموالد، كل هذا اكتفاء بأنه يؤدي عند الله ما قصرت عنه أنفسهم من صلاة أو صوم أو حج أو زكاة، ونتج عن ذلك أن عظَّم المسلمون أصحاب الأضرحة الكبيرة والقباب العالية.

ونحن نرى في مصر دليلًا على هذا، في أصحاب رسول الله ﷺ

الذين دُفنوا فيها، مثل عمرو بن العاص وعُقبة بن نافع، ممن لا يُوليهم المسلمون عناية مثل غيرهم من أصحاب الأضرحة والقباب العالية، مع أنهم دونهم في المكانة والقربى من الله بنص حديث رسول الله ﷺ، وإجماع أهل العلم والفقه مِن المسلمين.

هذا في مصر، وله أشباهٌ في البلاد الأخرى، فقد عرف المستعمرون والمحتلُّون هذه النقطة من الضعف، فعُنُوا -أوَّل ما عنوْا- بإقامة الأضرحة والقباب في ربوع البلاد، فانصاع الناس لهم، وأطاعوهم راضين[1].

ونحن جميعًا نعلم حيلة نابليون وخديعته للشعب المصري، ببيانه المشهور عقب احتلاله القاهرة، حين سلك السبيل إلينا بتظاهره بالإسلام واحترامه إيَّاه، وحين تَرَسَّمَ خطاه الجنرال «مينو» الذي أعلن أن اسمه «عبد الله مينو».

كذلك نحن لا ننسى خداع «لورانس» الذي نفذ إلى

(١) وما أشبه الليلة بالبارحة؛ فقد تفتّقت قريحة الشَّيطان الأمريكي عن إعادة الاحتفاء والاحتفال بتلك البدع، وجَعْلها مِن معالم التدين في «الشرق الأوسط الجديد»!

صميم العروبة، باستغلاله المظهر الإسلامي، واستيلائه به على أكثر الجزيرة العربية.

وبهذه المناسبة، أذكر أن أحد كبار المستشرقين حدثني عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا، من أن الضرورة كانت تقتضي بتحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد عبر تلك المنطقة الواسعة، إلى اتجاه جديد للمستعمر فيه غاية، ولم تجد أية وسيلة من وسائل الدعاية تجعل القوافل تختاره، وأخيرًا اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات، وما هو إلا أن اهتزّت الإشاعات بمن فيها من الأولياء، وبما شوهد من كراماتهم، حتى صارت تلك الطرق مأهولة مقصودة عامرة[1].

وأُحب أنْ أُرسلها كلمة خالصة لوجه الله إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، أنْ يُقلِعوا عن مظاهر المقابر؛ فإنها نعرة للفرد، ودعوةٌ إلى الأنانية، وإلى الأرستقراطية الممقوتة،

(١) وإن تَعْجَبْ فاعجب لحضور السفير الأمريكي بالقاهرة لمولد البدوي «بطنطا» احتفالًا بأولياء الله!!

التي قَتَلَتْ روح الشرق جميعًا، وأن يعودوا إلى رحاب الدِّين، التي تسوِّي بين الناس جميعًا أحياءً وأمواتًا، لا فَضْل لأحد على الآخر إلَّا بالتقوى، وما قَدَّمَتْ يداه للإنسانية مِن أعمال خالصة لوجه الله.

انتشار التصوف الدخيل

لفضيلة الشيخ
محمد الغزالي
وكيل وزارة الأوقاف

قال فضيلته رحمه الله[١]:

انتشرت مع التصوف الدخيل على الأمة الإسلامية صورٌ من الرهبانية وظِلَالٌ من الجهل بالحياة الدنيا، والعزوف عن أعبائها ومباهجها جميعًا.

وأصبحتِ الفكرة الشائعة عن الدين أنه عدوٌّ للحياة. وأَنَّ وظيفته الأولى هي إعدادُ الناس لاستقبال الدار الآخرة بأنواعِ المراسم وأشكال الطاعات.

وأنه -إن لم يزهد أتباعه في هذه الحياة- فهو لا يبالى بتجهيلهم فيها وانصرافهم عنها، وربما يعد ذلك من كمال التقوى وأمارات حب الله.!

وهذه التصورات كلها خيالٌ مرضيٌّ.

والذي يُطالع القرآن والسنة وسيرةَ الخلافة الراشدة وكُتُب الأئمة المتبوعين -يدرك أن الإسلام أَبْعَدُ ما يكون عن هذا الحُمْقِ».

---

(١) «حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة» ص ٢٢٠.

سخافات ابن عربي هي الكفر بعينه

وقال فضيلته في موضع آخر [١]:

إنني ألفت النظر إلى أن المواريث الشائعة بيننا تتضمن أمورًا هي الكفر بعينه..

لقد اطلعت على مقتطفات من «الفتوحات المكية» لابن عربي فقلت: كان ينبغي أن تسمى «الفتوحات الرومية»! فإن الفاتيكان لا يطمع أن يدسَّ بيننا أكثر شرًّا من هذا اللغو.

يقول ابن عربي في الباب (٣٣٣) بعد تمهيد طويل: «إن الأصل الساري في بروز أعيان الممكنات هو التثليث! والأحد لا يكون عنه شيء ألبتة! وأول الأعداد الاثنان، ولا يكون عن الاثنين شيء أصلًا، ما لم يكن ثالث يربط بعضها ببعض فحينئذ يتكون عنها ما يتكّون، فالإيجاد عن الثلاثة والثلاثة أول الأفراد».

---

(١) «تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل» ص ٦٠-٦١.

لم أقرأ في حياتي أقبح من هذا السخف، ولا ريب أن الكلام تسويغٌ ممجوجٌ لفكرة الثالوث المسيحيِّ[١]، وابن عربي مع عصابات الباطنية والحشاشين الذين بَذَرَتْهُمْ أوربا في دار الإسلام أيام الحروب الصليبية الأولى؛ كانوا طلائع هذا الغزو الخسيس.

من قال: إن الواحد لا يكون منه شيء أصلًا؟ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[الزمر:٦٢-٦٣]، وفي دنيا الناس يسأل كل واحد عما يفعل ويترك، ويتفاوت آحاد البشر في قدراتهم وخبراتهم حتى يقول ابن دريد:

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنى!

ومن قال: إن أول العدد الاثنان؟

---

(١) ولهذا الإلحاد والقول بوحدة الأديان يبحث الغرب اليوم عن تراث ابن عربي، ويحاولون بعثه في الأمة.

وهل تكوَّن الاثنان إلا من ازدواج الواحد؟ !

ثم من قال: إن الاثنين لا يكون عنهما شيء أصلًا؟

وإذا كان هو لم ينشأ من أمه وأبيه معًا فمم نشأ؟! !

ولكن ابن عربي يمضي في سخافاته فيقول -عن عقيدة التثليث-: «من العابدين من يجمع هذا كله في صورة عبادته وصورة عمله، فيسرى التثليث في جميع الأمور لوجوده في الأصل»!

ويبلغ ابن عربي قمة التغفيل عندما يقول: «إن الله سَمَّى القائل بالتثليث كافرًا أي ساترًا بيانَ حقيقة الأمر فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[المائدة:٧٣] .

فالقائل بالتثليث سَتَرَ ما ينبغي أن يكشف صورته، ولو بَيَّنَ لقال هذا الذي قلناه»!!

واكتفى الأحمقُ بذكر الجملة الأولى من الآية، ولم يُردفْها بالجملة الثانية: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[المائدة:٧٣]، وذلك للتلبيس المقصود !

هذا الكلام المقبوح موجودٌ فيما يسمَّى بالتصوف

الإسلامي! وعوام المسلمين وخواصهم يشعرون بالمصدر النصراني الواضح لهذا الكلام..

ومما يلفت النظرَ أن معهد الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون قد اتفق مع إحدى العواصم العربية على طَبْعِ «الفتوحات» وإخراجها في بضعة وثلاثين جزءًا.

لحساب مَنْ يتم هذا العمل في هذه الأيام العصيبة؟[1]

على أي حال نحن نريد العودةَ بأمتنا إلى ينابيعها العلمية الوثيقة، ونناشدها ألا تقبل من التوجيهات إلا ما اعتمد على الوحي الصادق، ولدينا -ولله الحمد- كتابٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِنْ خلفه، وسنةٌ تَوافَرَ الحفاظ والفقهاء على ضبطها على نحوٍ لم يقع نظيرُهُ لتراث بشر.

---

(١) لو قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام على ما يجري اليوم على أرض مصر وفي القاهرة لكان أولى وأحرى!!

استعانة الحلاج الصوفي بالشياطين

لفضيلة الشيخ

عبد الحميد كشك رحمه الله

من كبار علماء الأزهر الشريف

قال فضيلته رحمه الله أثناء الكلام عن ألاعيب الشياطين بالإنسان لغوايتهم[1]:

وقد تقوم بأكثر من ذلك، فتَحْمِلُ الإنسان، وتطير به في الهواء، وتنقله من مكان إلى مكان، وقد تأتي له بأشياء ويطلبها، ولكنها لا تفعل هذا إلا بالضالين، الذين يكفرون بالله رب الأرض والسموات، أو يفعلون المنكرات والموبقات، وقد يتظاهر هؤلاء بالصلاح والتقوى، ولكنهم في حقيقة أمرهم مِنْ أَضَلِّ الناس وأفسقهم، وقد ذكر القُدَامى والمحدثون من هذا شيئًا كثيرًا لا مجال لتكذيبه والطعن فيه لبلوغه مبلغ التواتر.

---

(١) «في رحاب التفسير» للشيخ كشك ص ٧٥٢٣.

فمن ذلك ما ذكره ابن تيمية عن الحلاج[١] قال: «وكان صاحب سيما وشياطين تخدمه أحيانا، كانوا معه (بعض أتباعه) على جبل أبي قبيس، فطلبوا منه حلاوة، فذهب إلى مكان قريب منهم وجاء بصحن حلوى، فكشفوا الأمر فوجدوا ذلك قد سرق من دكان حلاوي باليمن، حمله شيطان من تلك البقعة»[٢].

قال: «ومثل هذا يحصل كثيرا لغير الحلاج ممن له حال شيطاني، ونحن نعرف كثيرا من هؤلاء في زماننا وغير زماننا»[٣].

---

(١) هو الحسين بن منصور، وكنيته: أبو مغيث، من أهل بيضاء بفارس، ونشأ بواسط بالعراق، ودخل مكة وصَحِبَ جماعة من الصوفية، والصوفية مختلفون فيه، وكان أكثر الصوفية جرأة على إظهار العقيدة الباطنية الاتحادية، ادعى أنه لا يعرف حقيقة التوحيد إلا اثنان: فرعون وإبليس، وأظهر من كلمات الكفر ووحدة الوجود ما جعل الفقهاء يفتون بوجوب قتله، فقُتل سنة ٣٠٩هـ، وصلب على جسر بغداد. انظر: «البداية والنهاية» للإمام ابن كثير (١١/ ١٥٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٥/ ١١٢)

(٣) المصدر السابق (٣٥/ ١١٢).

وقال فضيلته في موضع آخر[1]:

وقد ألف ابن تيمية مؤلَّفًا عظيما إذا عرفْتَهُ تبين لك الفارق الكبير بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؛ بحيث لا يشتبه عليك بعد ذلك أَمْرُ أولياء الشيطان وقد أسماه: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

(١) «في رحاب التفسير» للشيخ كشك ص ٧٥٢١.

بعض ممارسات الطرق الصوفية

شرك بالله وكفر

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد سيد طنطاوي رحمه الله [١]

شيخ الأزهر الشريف

جاء في جريدة الدستور المصرية ما نصه[٢]:

«وكان الدكتور «محمد سيد طنطاوي» شيخ الأزهر قد أعلن - أمس الأول - في رده على سؤال حول رأيه في الصوفية

---

(١) ولد فضيلته بقرية سُلَيم الشرقية بمحافظة سوهاج سنة ١٩٢٨م، تلقى تعليمه الأساسي بقريته، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٤م، وبعد انتهاء دراسته الثانوية التحق بكلية أصول الدين، وتخرج فيها سنة ١٩٥م، ثم حصل على تخصص التدريس سنة ١٩٥٩م، ثم حصل على الدكتوراه في التفسير والحديث سنة ١٩٦٦م، وعُين مدرسًا بكلية أصول الدين سنة ١٩٦٨م، ثم عميدًا لكلية أصول الدين بأسيوط سنة ١٩٧٦م، ثم عميدًا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين سنة ١٩٨٥م، وعين مفتيًا للديار المصرية سنة ١٩٨٦م، ثم عين شيخًا للأزهر سنة ١٩٩٦م، وتوفي سنة ٢٠١٠م.

(٢) جريدة الدستور، الخميس: ١١ فبراير ٢٠١٠م.

خلال افتتاح الموسم الثقافي لمدينة البعوث الإسلامية للطالبات أن هناك بعض الممارسات الصوفية التي تهدف إلى الحصول على كرامات للبشر وإلى عبادة البشر لبعضهم لا تكون صوفية؛ بل هي كفرٌ وشرك بالله تعالى وانحرافٌ عن المنهج الصحيح للدين الإسلامي وأن الصوفية أنواعٌ وليست كلها صحيحة».

ونقلت الجريدة تأييد كبار علماء الأزهر الشريف لهذه الفتوى فأوردتْ ما نَصُّهُ:

«فقد أكد الدكتور «محمد عبدالمنعم البري»[1] -رئيس

---

(١) ولد فضيلته سنة ١٩٣٢م في مدينة الخانكة بمحافظة القليوبية، التحق بالأزهر الشريف وأتم حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره، ثم التحق بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف، وتعين بها معيدًا، ثم حصل على درجة الماجيستير، ثم درجة العالمية (الدكتوراه)، ثم ارتقى أستاذًا مساعدًا، ثم أستاذًا بالجامعة، ترأس جبهة علماء الأزهر الشريف، وهو كذلك رئيس مركز الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف.

جبهة علماء الأزهر - أن كلام «طنطاوي» حقيقة، وأن هناك بعض الممارسات الصوفية لا يقبلها الإسلام، وهي شركٌ بالله تعالى مثل التشفُّع بالقبور وأصحابها والحصول على الكرامات عن طريق الأموات».

بدع الصوفية لا أساس لها من الإسلام

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد رأفت عثمان[١]

عضو مجمع البحوث

وقال فضيلته (٢):

«صور التصوف التي نشاهدها الآن تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية مثل: التبرُّك بزيارة القبور، واللجوء إلى

---

(١) أستاذ الفقه المقارن، وعميد كلية بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة حاليًا، وعميد كلية الشريعة والقانون بطنطا سابقًا، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، وعضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر. رشحته جامعة الأزهر الشريف مرتين لجائزة الدولة التقديرية لسنة ١٩٩٥ -- ولسنة ١٩٩٧م، واختاره مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية التابع لمؤسسة صحيفة الأهرام، في تقريره عن الحالة الدينية في مصر، الصادر سنة ١٩٩٨، أحد أربعة مجددين، كانوا أساتذة، أو تخرجوا من كلية الشريعة، بجامعة الأزهر الشريف، هم طبقًا لترتيبهم في التقرير: صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر السابق، وصاحب الفضيلة الدكتور نصر فريد واصل، مفتي مصر الأسبق، والدكتور محمد رأفت عثمان، وخالد محمد خالد.

(٢) جريدة الدستور، الخميس: ١١ فبراير ٢٠١٠م.

صاحب القبر، وذكر الله تعالى بطريقة منافية لجلاله ﷻ، والرقص والتمايل يمينًا ويسارًا، وادعاء أتباع ومريدين لمشايخ الطرق الصوفية في الريف والمدن أن لهم كرامات، وأنهم مباركون وعلى صلة بالله تعالى، كل هذا لا أساس له من الإسلام، حتى أصحاب المساجد الذين يدعون أنهم أولياء عند الله لا نعلم مدى قبولهم عند الله، ولا يمكن أن نقطع بذلك وأتباع هذه الطرق يستغلون ذلك للترويج لأهدافٍ تخصهم، بعيدة عن التصوف والتقرب إلى الله».

الصوفية بين الاتباع والغلو

لفضيلة الشيخ الدكتور
يوسف القرضاوي حفظه الله [١]
من كبار علماء الأزهر الشريف
ورئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

سئل فضيلته حفظه الله [٢]: ما حقيقة الصوفية والتصوف؟ وما موقف الإسلام منه؟ نسمع أن من الصوفيين من خدم الإسلام بالعلم والعمل، ونسمع أن منهم من هدم الإسلام بالبدع والضلالات،

---

(١) ولد فضيلته في مصر سنة ١٩٢٦م، وحفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة، وحصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين سنة ١٩٥٣م، وعلى إجازة التدريس سنة ١٩٥٤م، وكان ترتيبه الأول في كلتيهما، وفي سنة ١٩٦٠م حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، كما حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٧٣م، وكان عميدًا لكلية الشريعة بقطر، وهو عضو بالمجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي بمكة، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، ومجلس أمناء الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، ومنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم، ورئيس لهيئة الرقابة الشرعية في عدد من المصارف الإسلامية، ورئيس المجلس الأوربي للبحوث والإفتاء، ورئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

(٢) «حقيقة التوحيد» للدكتور يوسف القرضاوي ص(٤٤-٤٦).

فما الفرق بين هؤلاء وأولئك؟

فأجاب فضيلته ﷾:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

التصوف: اتجاه يوجد في كل الأديان تقريبًا. اتجاه إلى التعمق في الجانب الروحاني، وزيادة الاهتمام به. يوجد هذا في بعض الأديان أكثر منه في أديان أخرى.

في الهند.. هناك فقراء الهنود، يهتمون بالناحية الروحية اهتماما بالغًا، ويجنحون إلى تعذيب الجسد من أجل ترقية الروح وتصفيتها -بزعمهم-.

وكذلك في المسيحية، ولا سيما في نظام الرهبانية. وفي فارس، كان هناك مذهب ماني. وعند اليونان ظهر مذهب الرواقيين. وفي بلاد أخرى كثيرة، ظهرت النزعات الروحية المتطرفة، على حساب الناحية الجسدية أو المادية.

والإسلام حينما جاء -جاء بالتوازن بين الحياة الروحية والحياة الجسدية والحياة العقلية؛ فالإنسان -كما يتصوره

الإسلام- جسمٌ وعقلٌ وروحٌ. ولا بد للمسلم أن يعطي كل جانب من هذه الجوانب حَقَّهُ.

وحينما رأى النبي ﷺ أن مِنْ أصحابه من يغالي في ناحية من النواحي زَجَرَهُ، كما حدث لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقد كان يصوم ولا يفطر، ويقوم فلا ينام، وترك امرأته وواجباته الزوجية. فقال له النبي ﷺ: «**يا عبد الله إن لعينك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإن لبدنك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حق حقه**»(١).

وحينما ذهب فريق من أصحاب النبي ﷺ يسألون أزواجه عن عبادته، فكأنهم تقالُّوها، فقال بعضهم لبعض: وأين نحن من رسول الله ﷺ؟ لقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثاني: وأنا أقوم الليل فلا أنام، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج. فبلغ

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩).

النبيَّ ﷺ مقالتُهم، فجمعهم، وخطب فيهم، وقال: «**أما إني أعلمكم بالله وأخشاكم له، ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)].

فمن هنا جاء الإسلام بالتوازُن في الحياة، يعطي كل ناحية حقها، ولكن الصوفية ظهروا في وقت غلب على المسلمين فيه الجانب المادي والجانب العقلي.

الجانب المادي نتج عن الترف الذي أغرق بعضَ الطبقات، بعد اتِّساع الفتوحات، وكثرة الأموال، وازدهار الحياة الاقتصادية، مما أورثتْ غلوًّا في الجانب الماديِّ. مصحوبًا بغلوٍّ آخر في الجانب العقلي، أصبح الإيمان عبارة عن «فلسفة» و«علم كلام» و«جدل»، لا يُشبع للإنسان نهمًا روحيًّا.

حتى الفقه أصبح إنما يُعنَى بظاهر الدين لا بباطنه، وبأعمال الجوارح. لا بأعمال القلوب وبمادة العبادات لا بروحها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، وبنحوه أخرجه مسلم (١٤٠١).

ومن هنا ظهر هؤلاء الصوفية ليَسُدُّوا ذلك الفراغ، الذي لم يستطع أن يشغله المتكلمون ولا أن يملأه الفقهاء، وصار لدى كثير من الناس جوعٌ روحيٌّ، فلم يُشبع هذا الجوع إلا الصوفيةُ الذين عُنُوا بتطهير الباطن قبل الظاهر، وبعلاج أمراض النفوس، وإعطاء الأولوية لأعمال القلوب وشغلوا أنفسهم بالتربية الروحية والأخلاقية، وصرفوا إليها جُلَّ تفكيرهم واهتمامهم ونشاطهم. حتى قال بعضهم: التصوف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف.

وكان أوائل الصوفية ملتزمين بالكتاب والسنة، وَقَّافِينَ عند حدود الشرع، مطاردين للبدع والانحرافات في الفكر والسلوك.

ولقد دخل على أيدي الصوفية المتبعين كثير من الناس في الإسلام، وتاب على أيديهم أعدادٌ لا تُحصى من العصاة، وخلّفوا وراءهم ثروةً من المعارف والتجارب الروحية لا يُنكرها إلا مكابرٌ، أو متعصبٌ عليهم.

غير أن كثيرًا منهم غَلَوْا في هذا الجانب، وانحرفوا عن

الطريق السويِّ، وعُرفتْ عن بعضهم أفكارٌ غير إسلامية، كقولهم بالحقيقة والشريعة، فمَنْ نظر إلى الخلق بعين الشريعة مَقَتَهُمْ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم.

وكان لهم كلامٌ في أَنَّ الأذواق والمواجيدَ تعتبر مصدرًا من مصادر الحكم، أي أَنَّ الإنسان يرجع في الحكم إلى ذوقه ووجدانه وقلبه، وكان بعضهم يعيب على المحدِّثين لأنهم يقولون: حدثنا فلان، قال وحدثنا فلان، ويقول الصوفي: حدثني قلبي عن ربي، أو يقول: إنكم تأخذون علمكم ميتًا عن ميت، ونحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت، أي أنه متصل -بزعمه- بالسماء مباشرة!!

فهذا النوعُ من الغلوُّ، ومثله الغلو في الناحية التربوية غلوًّا يضعف شخصية المريد كقولهم: إن المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله، ومَنْ قال لشيخه: لم؟ لا يفلح. ومن اعترض انطرد!!

هذه الاتجاهات قتلت نفسيات كثير من أبناء المسلمين،

فسرت فيهم روحٌ جبريةٌ سلبيةٌ، كاعتقادهم القائل: أقام العباد فيما أراد.. دع الملك للمالك، واترك الخلق للخالق..

يعني بذلك: أن يكون موقفه سلبيًا أمام الانحراف والفساد وأمام الظلم والاستبداد، وهذا أيضًا من الغلو والانحرافات التي ظهرت عند الصوفية.

ولكن كثيرًا من أهل السنة والسلف قوَّم علوم الصوفية، بالكتاب والسنة، كما نبه على ذلك المحققون منهم، ووجدنا رجلًا كابن القيم يَزِنُ علوم القوم بهذا الميزان الذي لا يختل ولا يجور، ميزان الكتاب والسنة. فكتب عن التصوف كتابًا قيمًا، هو كتاب: «مدارج السالكين إلى منازل السائرين». ومدارج السالكين هذا عبارةٌ عن شَرْحٍ لرسالة صوفية صغيرة اسمها «منازل السائرين إلى مقامات: إياك نعبد وإياك نستعين» لشيخ الإسلام إسماعيل الهروي الحنبلي.

هذا الكتاب من ثلاثة مجلدات، يرجع فيه إلى الكتاب والسنة، ونستطيع أن نقرأه ونستفيد منه باطمئنان كبير.

والحقيقةُ أَنَّ كل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك، والحكم هو النص المعصوم من كتاب الله ومن سنة رسوله.

فنستطيع أنْ نأخذ من الصوفية الجوانبَ المشرقة، كجانب الطاعة لله. وجانب محبة الناس بعضهم لبعض، ومعرفة عيوب النفس، ومداخل الشيطان، وعلاجها، واهتمامهم بما يرقق القلوب، ويذكّر بالآخرة.

نستطيع أن نعرف عن هذا الكثير عن طريق بعض الصوفية كالإمام الغزالي، مع الحذر من شطحاتهم، وانحرافاتهم، وغَلْوَائِهِمْ، ووزن ذلك بالكتاب والسنة، وهذا لا يقدر عليه إلا أهل العلم وأهل المعرفة.

ولهذا أنصح الرجل العادي بأن يرجع في معارفه إلى المسلمين، العلماء السلفيين المعتدلين الذين يرجعون في كل ما يقولون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ. والله أعلم.

علماء البدع وشيوخ الفساد

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمود محمد مزروعة حفظه الله

عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سابقًا

قال فضيلته حفظه الله (١):

والمصيبة في العلماء أنواعٌ وألوانٌ، فمنهم من سخّر دينَه لجمع المال، ومنهم من استعمل عِلْمه للوصول إلى منصب، ومنهم من مصيبتُهُ التَّزلُّفُ والتقرُّب للسلطان، وتلك مصيبةُ المصائب، فكلُّهُمْ طُلَّاب مال، أو جاه، أو منصب، أو حَظْوَةٍ عند الحاكم، ولَفْظَةُ «أو» هنا بمعنى الواو فهم لا يشبعون، ولا يقفون بأطماعهم الدنيوية عند حد ينتهون إليه، وتحديدًا في التَّزلُّفُ للحكام وأصحاب السلطان.

وكل عالم له مستوًى من أصحاب السلطان يعمل على الوصول إليه، وأكثرُهُم طموحًا وطمعًا وتطلُّعًا، إنما هو

---

(١) من فتوى كتبت بخط يد فضيلته.

الطامح إلى الحاكم، تزلُّفًا له، وثناء عليه، وتقرُّبًا منه، ورجاءً فيما عنده، وطمعًا في المنصب الملائم لمنزلة الحاكم من جانب، وللكمِّ الهائل من التَّزلُّفُ والنفاق والتَّمَلُّق الذي بذله ويبذله ذلك العالم، أو هذا النوع من العلماء من جانب آخر؛ ولذا أُثِرَ عن كثير من سَلَفِنَا أن العالم إذا اتصل بالحاكم لا تُقبل شهادته، والمقصود هنا المُجَالِسُ له الملازم معه؛ لذلك يختلف العلماء على بعضهم، ويقع التناحُرُ بينهم في السباق إلى رضا الحاكم، وحين يخلو منصبٌ من المناصب الدينية الكبرى فإن العلماء بدل أن يبتعدوا عنه، ويَخْشَوُا الله منه، ويرهبوه من شدة وعِظَم المسئولية فيه أمام الله -وهذا أمر بدهي باعتبارهم علماء- فإنهم بدلا من ذلك يتسابقون، وكلٌّ منهم يعرض ما عنده للبيع والتضحية، وليس لديهم ما يبيعون أو يُضَحُّون إلا دينَ الله والعلم بكتاب الله وسنة نبيه، ولذلك ينظر الحاكم في الرؤوس التي قد أطلّتْ من جحورها طالبةً المنصب، وينظر في أكثرهم استعدادًا لبيع دينه في سبيل الكرسيِّ، ثم يختار

ويُصدرُ قرارَ تعيين العالم في المنصب.

وللحاكم مسوّغات تعيين، تتناسب مع أهدافه وطلباته من العالِم، ويقينا ليس من بين تلك المسوغات الدينُ والخلقُ والعلمُ والالتزامُ... بل كل هذه عواملُ طَرْدٍ، ودواعي نفور، أما عوامل ومسوغات الاختيار فشيءٌ آخر... ونحسبُ أن المعنى قد وضح، فلا إطالة -وحسبنا الله ونعم الوكيل-.

ولم يقف الأمر عند هذا الجانب السلبي في إفساد عوامل الهداية التي مَنَّ الله تعالى بها على العباد من إنس وجن -ولكن كان من نتيجة هذا أن امتلأت الساحة على المسلمين بما لا يُحصى من دعاة الضلال، وعلماء البدع وشيوخ الفساد والإفساد، هؤلاء الذين تربصوا بكل حكم شرعي فأبطلوه أو هَوَّنُوا منه، وبكل سنة فاستبدلوا بها بدعة، ولم يقفوا عند حد الأصول التي بدلوها وغَيَّرُوها، بل أضافوا مِنْ عندهم كفريات وفجريات حتى ملأوا الساحة الإسلامية بما هو غير مسلم، بل بما هو عدوٌّ للإسلام وناقضٌ له.

وبعد أَنْ كانوا يمشون بالفساد، ويزاولون الإفساد على استحياء، تَبَجَّحوا وتَوَقَّحوا وانطلقوا في تطبيق خططهم في محاولة القضاء على الإسلام، وقد أَلْبَسُوا ضلالهم مسوحًا حَسِبَهَا الناس من الإسلام، وإنها لَمَجُوسِيَّةٌ ضالة:

١- فمن الزهد؛ انطقوا إلى التصوف، وإغراقا في الضلال قسموه إلى تصوف سني وآخر بدعي، ويأبى الله ورسوله والمؤمنون أن يكون شيء من ذلك كلمةَ سنة، ثم من التصوف إلى «المواجيد» و «السُّكر» و«الفناء» إلى غير ذلك.

وقد ضل بذلك خَلْقٌ كثيرٌ، وقد ظل ذلك على مستوى الأفراد حتى جاء من قَعَّدَ لذلك مدرسةً تقوم على الكفر والفجور، ذلكم شيخ الضلال الأكبر محيي الدين ابن عربي -عليه لعائن الله-.

٢- ومن حُبِّ الرسول ﷺ ابتدعوا الاحتفال بالمولد، وفي ذلك ما فيه مما لا يخفى من البِدَع والضلالات.

٣- ومن حُبِّ أولياء الله، اخترعوا الموالد، وابتدعوا القِبَابَ،

وابتدعوا الطواف، حولها، والاحتفاء بها وبصاحبها الميت الذي لا يَمْلِكُ من أَمْرِ نفسه شيئًا، وقد يعذب به إن كان قد رضيه أو أوصى به.

٤- ومن حبهم الأولياء أشركوا وضلوا، حتى جعلوهم شركاء لله ﷻ، فطلبوا منهم جَلْبَ النفع، وسألوهم دَفْعَ الضر، وبذا اتخذوهم أندادًا مِنْ دون الله، وقد عُلِمَ من ديننا ضرورةُ أن الضارَّ والنافع واحدٌ، وأن الله ﷻ هو مالكُ الملك ومصرّفُهُ ومدبّرُهُ، وكل ما خالف ذلك فهو شرك أكبر -نعوذ بالله-.

٥- وقد كان ممن وسموا «الأولياء».

من لا يَدَ له ولا مسئولية عليه فيما يجرى حوله أو بسببه من ضلال وفجور؛ فهم في ذمة الله تعالى ينتقم لهم ممن أساؤوا إليهم.

وكان منهم من أوصى بإقامة ضريح له، ونصب قبة عليه، وتنظيم مولد سنوي له، بل إن منهم من اهتم بوضع تفاصيل هذا الضلال الشركي في حياته وشارك في رسمه وتنظيمه،

ولقد زُرْتُ شيخًا من شيوخ الأزهر السابقين في بلده، فوجدته قد نصب في الطريق إلى بيته قبة عالية، وأعد حولها مساحة فسيحة، تمهيدا لدفنه في هذا الضريح تحت هذه القبة العالية، وإقامة الاحتفال بمولده كل عام، وقد اختار ما اصطلح على تسميته الخليفة، كل هذا في حياته، وقد لقيته في بيته، وكانت زيارتي له تعزية في زوجه -رحمها الله- ولـمَّا سألْتُهُ عن الضريح والقبة العالية، قال عبارة واحدة، قال: «انصرف يا شيخ... راشدا، ولا تعد إلينا لأية مناسبة» وقد عشتُ حتى رأيت ابنه خليفته يقيم الاحتفال الصاخب احتفاء بمولد الشيخ أبيه.

٦- من أبواب الشر التي فُتحت بسبب مَنْ نسمِّيهم «الأولياء»: بناء المساجد على قبورهم أوْ في أحد المساجد القائمة، وقد عُلم أنَّ الحكم الشرعيَّ في القبور داخل المساجد الحرمةُ القاطعةُ -عند الجمهور- والكراهة الشديدة -عند البعض- وقد اشتد بعض العلماء فقال بعدهم جواز الصلاة في مسجدٍ به مقبرةٌ بلا حائل، ولا

نقول بذلك.

٧- من أبوب الشِّرْكِ الطواف بقبر من زعم بأنه وليٌّ، والطوافُ في ديننا بنيّةِ القربة لا يحل إلا حول بيت الله الحرام، وأما بغير نية القربة فلا شيء فيه، كمَنْ يطوف ببيت بناه ليرى ما فيه، والطائفون حول الموتى من الأولياء المزعومين إنما هو بنية القربة، وذلك حرامٌ بإجماع المسلمين غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

٨- مِنْ أبواب الشرك الطلبُ مِنْ صاحب القبر -كما ذَكَرْنا آنفا- لكنا هنا نحصر صور الضلال من الزائرين قبر الوليِّ المزعوم، فهذه الصور الضالة كثيرة أَوْضَحُهَا ثلاثٌ:

أ- أن يدعو الله ﷻ ويَقْصُرَ طلبه عليه -سبحانه- لكنه يعتقد أن دعاء الله في رحاب قبر الوليِّ أَحْرَى بالقبول، وأدنى إلى الإصابة، وتلك أَخَفّ الصور الثلاثة ضلالا، فإن الله يجيب دعوةَ الداعي بشروطها في كل مكان، وفي المسجد الحرام، وحول البيت أثناء الطواف أحرى بالقبول فحكمُ ذلك

الكراهةُ التحريميةُ أو الحرمةُ.

ب- أن يطلب من صاحب القبر أن يشفع له عند الله ﷻ ويرجو له اللهَ أن يجيب دعاءه، فهو إذن لم يطلب من الولي ولم يَدْعُهُ، فقط طلب منه أن يشفع له عند الله ليستجيب له... وهذه أَدْخَلُ في الضلال من الصورة السابقة، وأقلّ ضلالة من الثالثة، وهي شِرْكٌ صريحٌ، وإن كان يخفِّف منه هَوْنًا ما جهل العامة والغوغاء والدَّهْمَاءُ، الذين يغرر بهم الزعم بأنهم لم يطلبوا من غير الله سبحانه لكن حُجّة هؤلاء واضحةٌ فإن الله ﷻ بَيَّنَ في كتابه العزيز أن مُشْرِكِي مكة يعبدون آلهتهم زاعمين أنهم شفعاؤهم عند الله، يقول الله ﷻ عن مشركي مكة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

فهذا التَّشَفُّعُ أو الاستشفاع جعله الله ﷻ شِرْكًا، وقال الله ﷻ عن المشركين إنهم قالوا في أندادهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]

فهذه شفاعة أو استشفاع أيضا، وقال الله ﷻ يحسم المسألة: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٤].

والمحقق أن هؤلاء لم يعبدوا أصحاب القبور كما كان المشركون يفعلون مع آلهتهم وللعلماء فيما قال الله ﷻ في تلك الآيات وتطبيق ذلك على هذا الصنف الثاني رأيان:

الأول: أن المشركين من أهل مكة زعموا أنهم اتخذوا آلهتهم شفعاء فقط، وأنهم كذبوا في ذلك، بل هم عبدوهم لذات العبادة، وتلك أَعَمُّ وأَخْطَرُ من مجرد الاستشفاع بهم، وهذا يعني: أَنَّ ثمة فَرْقًا بين العبادة والتشفُّع.

وهذه تكون في صالح هذا الفريق؛ إذ تنفي عن فعلهم هذا صفة التعبد لصاحب القبر، وإن استشفعوا به، كما تنفي عنهم مماثلة المشركين.

الثاني: أن العبادة والتشفع شيءٌ واحدٌ، وأن المشركين

صادقون في أنهم يتشفعون بهؤلاء الأصنام عند الله -سبحانه- وأن الله ﷻ، قد جعل هذا الاستشفاع عبادةً، وعلى هذا فلا فَرْقَ بين العبادة والاستشفاع، فالاستشفاع عبادةٌ إلا فيمن نصبهم الله للشفاعة، وأذن لهم بذلك -كما قال سبحانه-: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]

وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]

فالشفاعة جائزةٌ والإيمانُ بتحقُّقها لمن أذن الله لهم بها واجبٌ شرعيٌّ مَنْ كَفَرَ به فَسَقَ عن الملة.

جـ- أنْ يدعو صاحب القبر مباشرةً، فيتوجَّهُ إليه بالدعاء والطلب، فيطلب منه جَلْبَ النَّفْع له، ورَفْعَ الضر عنه، دون ذِكْرِ الله ﷻ، وهذه الصورة شركٌ أكبرُ واضح لا لَبْسَ فيه -نعوذ بالله-.

٩- مِنْ أوسع أبواب الشرك في هذا الجانب أن يَنْذِرَ لصاحب القبر، أو ينذر لمن يزعم أنه وليٌّ من أولياء الله، سواء ذهب إلى قبره أو لم يذهب؛ فكثيرون هم هؤلاء الذين ينذرون للحسين، أو السيدة زينب، أو الشافعي -رحمهم الله رحمة

واسعة- ومن هؤلاء من يذهب بنذره ليضعه في صندوق النذور الباطلة عند قبر الوليِّ المزعوم، ومنهم من يُرْسِلُ النذر مع آخر ليضعه في مكان، وتقدَّر النذور في بعض الأضرحة بمئات الآلاف من الجنيهات مثل صندوق ضريح «الحسين»، أو «السيد البدوي»، أو «السيدة زينب».

ولهذه الصناديق نُظُمٌ ولوائحُ تَحْكُمُ فتحها وتوزيع ما فيها على أصحاب الأنصبة، ومن أصحاب الأنصبة شيوخُ المساجد التي فيها الأضرحةُ وأئمتُها... وهؤلاء المشايخ والأئمة يقبضون أنصبتهم بعشرات الآلاف، ولا يجدون حرجا في أَكْلِ هذا السحت الحرام.

وهذه الصناديق تُفتح في المواسم المعيَّنَةِ وبخاصة بعد انتهاء الاحتفال بمولد صاحب الضريح، حيث تكون حصيلةُ النذور أَوْفَى ما تكون، وتفتح كذلك في مناسباتٍ تُحدّدها لائحة الأضرحة.